من هو العبد الصالح؟

في جنوب قرية باربار على الشارع العام -شارع النخيل- يقع مسجد باسم العبد الصالح عند مدخل القرية الرئيسي، وهو عامر بالمصلين، ويقام فيه دروس تعليم الصلاة للصغار، وبعض الاحتفالات الدينية، وكان -سابقا- محل دروس بحث الخارج في الحوزة التي برعاية سماحة العلامة المرحوم السيد جواد الوداعي، وكان يقيم فيه صلاة الجماعة ليلة الأحد حتى الثلاثاء، وصلاة الصبح طيلة أيام الأسبوع، قبل انتقال الجماعة إلى مسجد الشيخ علي بن حماد سنة ١٤٠٩هـ.

وفي شمال هذا المسجد يقع قبر لأحد العلماء الصالحين غير معروف صاحبه، قيل لي بأنه عثر في البناء القديم الذي هدم سنة ١٣٩٥هجرية الموافق لسنة ١٩٧٥ ميلادية على لوح من خشب الساج موضوع على صخرة القبر، مكتوب عليه (هذا قبر العبد الصالح)، فسألت المرحوم الحاج أحمد بن علي بن حسين العليوات المعروف بالبَنَّاء في القرية، عن اسم صاحب هذا القبر، فقال: لا أعرفه، فقلت له: يقولون إنك عثرت على لوح من خشب الساج موضوع على القبر، فماذا كان مكتوب فيه بالنص؟ لأن المشهور على ألسنة العوام من أهل القرية بدون أل التعرف، فهم يقولون مسجد عبد الصالح، فقال: إن العبارة التي ذكرتها أولا هي الصحيحة، ولا فيه أكثر من ذلك النص، عندها عرفت وجزمت وتيقنت أنه ليس اسما لصاحب هذا القبر كما يعتقد أكثر أهل القرية، وإنما هو لقب له، وهي جملة كتبت ووضعت للتعمية عن اسم صاحب هذا القبر.

صورة رقم١: البناء القديم للمسجد

فأخذت أبحث عنه في كتب التراجم والرجال وطبقات العلماء لعدة سنوات، بالإشارة التي حصلت عليها، وقد وردت في العبارة السابقة ألا وهي (هذا قبر العبد الصالح)، وأنا على يقين من أن المتتبع العارف لطريقة أسلوب الكتابة في القرن الثاني عشر الهجري، يعلم أن تكملة سجع العبارة السابقة، هو اسم الشيخ صالح، فجعلت هذا الاسم هو المفتاح الذي سوف يوصلني إلى فتح هذا المغلق من الموضوع ومعرفة الحقيقة.

فثابرت على القراءة إلى أن وصلت إلى كتاب طبقات أعلام الشيعة للمرحوم الشيخ آغا بزرك الطهراني في الجزء المعنون بالكواكب المنتثرة في القرن الثاني بعد العشرة، فوجدته قد ذكر اسم الشيخ صالح بن محمد الباربارى البحراني، وقال عنه ما نصه: كتب بخطه لنفسه كتاب (الرجعة) تأليف المير محمد مؤمن الحسيني الاسترابادي الذي فرغ من تأليفه آخر شهر رجب ١٠٦٩هجرية وفرغ المترجم له في ١٨ ذي القعدة ١١٥٨هجرية من الكتابة، والنسخة عند الحسين القديحي يظهر من كتابته لنفسه أنه من أهل التحقيق.

وهذه العبارة تعني أنه عالم فاضل فقيه، والظاهر أن المقصود هو صاحب هذا القبر المذكور، ويظهر أنه من أقطاب مدرسة باربار الدينية التي ازدهرت في ذلك القرن، والتي لا تزال آثارها باقية في التل الموجود جنوب شرق المقبرة المسماة باسمها، وهي (مقبرة المدرسة)، وهذا التاريخ يعني أن هذا الشيخ كان حيا إلى سنة ١١٥٨هجرية، إلا أننا لا نعلم كم بقي بعدها من السنين، والذي يلفت الانتباه ويستدعي التفكر هو شكل الصخرة الموجودة على قبره، وهي من الحجر الرملي أو الجيري، لا أتذكرها الآن بسبب أنها مغطاة بالرخام منذ فترة طويلة، وكانت مستوية الأسطح صفراء اللون، جاهزة للكتابة عليها مثل صخور القبور المنقوشة المشهورة في ذلك العصر، ولكن لا يوجد عليها أي كتابة أو نقش أو أثر للخط، ولم تكن متآكلة حتى نقول إن الكتابة قد تهشمت من فوقها، بل كانت محفوظة على أحسن صورة في داخل هذا المسجد، وعليها لوح من خشب الساج بتلك العبارة المعمية، فالظاهر من ذلك أن هذا الفعل هو عن قصد وبإشارة ووصية من صاحب هذا القبر بعدم الكتابة على قبره.

صورة رقم٢: قبر العبد الصالح

ويظهر من ذلك أن هذا الشيخ كان عابدا صالحا تقيا ورعا زاهد في هذه الدنيا متعففا لا يحب الظهور ولا الجاه ولا الشهرة، لذلك أوصى بإخفاء قبره ومحل رمسه، ولكن أهل قريته عرفانا منهم بالجميل وبحقه عليهم وتخليدا لذكره، دفنوه في مكان لائق بشخصه، وحفظوه في مسجده الذي كان يصلي فيه، وعملوا له ما استطاعوا من التكريم، مع أخذ الاعتبار بوصيته السابقة.

وكان القبر قديما، في وسط المسجد تقريبا، قريبا إلى جهة الشمال؛ لأن مساحة المسجد كانت صغيرة، وقبلته غير صحيحة؛ لأنها منصوبة على مركز جهة الغرب تقريبا، وكان أهل القرية لا يعلمون بذلك، وأول ما قام به جدي المرحوم سماحة العلامة السيد جواد الوداعي (رحمه الله) بعد نزوله إلى القرية توسعة مساحته قليلا من ناحية الشرق، وبنى عليه إيوانًا، ثم أضاف إليه قطعة أرض من ناحية الجنوب ضعف المساحة تقريبا، وحاول شراء قطعة الأرض التي في شماله، ولكن أهلها لم يوافقوا للمشاركة في عمل الخير ولم يقبلوا بيعها وأخيرا لم تثبت لهم رسميا؛ لأنهم لا يملكون صكًّا عليها، وعملت الحكومة فيها شارعا وموقفا للسيارات (لاحظ الصورة رقم٣).

صورة رقم٣

كل هذا العمل فعله مقدمة لهدمه وزيادة مساحته وتصحيح قبلته في البناء الأخير الحالي (الذي بني سنة ١٤٠٤هـ)، وجعلها مائلة إلى اليسار، فصار القبر عند الجدار الشمالي، عليه حجرة متصلة ببناء المسجد، وظهرت قطعة صغيرة من أرض المسجد القديم إلى الخارج، في جهة الشمال على شكل مثلث حاد الزوايا، قاعدته العريضة من الشمال إلى الجنوب تقع في غرب المسجد، فقام سماحته ببناء هذه القطعة على شكل مثلث مسطح من الإسمنت مرتفع عن مستوى سطح الأرض المجاورة، للحفاظ على قدسيتها أولا، ولمعرفة أنها تابعة لمساحة أرض المسجد ثانيا، أما اليوم فهذه القطعة تساوت مع الشارع الذي كان يمر إلى جانبها، ورصفت أخيرا مثله بالطابوق وأصبحت موقفا للسيارات (لاحظ الصورة رقم٤). وذلك بسبب إهمال القيم على المسجد، وعدم المحافظة على ممتلكاته، وأصبح أكثر أهل القرية من الأجيال الحديثة لا يعلمون عن هذا الموضوع شيئا.

صورة رقم٤

ويقع مكان المسجد القديم في وسط المسجد الحالي من جهة الشمال، أما مساحته فكانت ربع المساحة الحالية تقريبا، وكان ديدنه (رحمه الله) في جميع المساجد التي بناها في القرية أو سعى في بنائها هو توسعة مساحتها حتى تواكب الزيادة في عدد المصلين، والزيادة في عدد سكان القرية، ومساحة البناء الحالية هي أكثر من خمسة عشر مترًا بقليل في مثلها لأنه مربع البناء، وبلغت تكلفة بنائه ٢٧ ألف دينار بحراني، ومجموع التكلفة مع الفرش والمكيفات حوالي ٣٢ ألف دينار.

حرر بقرية باربار بتاريخ يوم السبت السابع والعشرين من شهر شعبان المبارك سنة ١٤٤٢هجرية على يد العبد الفاني فضل بن السيد محمد بن السيد جواد الوداعي الموسوي البحراني.